

اجتهادات سلام على صلاح عيسى

يعيدنا كتاب صلاح عيسى الجديد سلامى عليك يا زمان.. مشاغبات وهموم صحفى عربى فى الثمانينيات إلى أجواء فترة شهدت معارك سياسية وثقافية لم تكن كلها صغيرة، بخلاف المعتاد فى فترات أخرى. كانت بينها معارك مهمة، خاضها كبار على كل صعيد فى مقدمتهم صلاح عيسى. فهو لم يخض إلا معارك كبيرة اضطر إليها، ودافع فيها عما اعتقد أنه الحق، والحقيقة.

ولا ينبغي أن يثير الحديث عن كتابه الجديد استغراباً. فمثله إن رحل جسدياً يبقى فكرياً وثقافياً لأن ما تركه أكبر، وأقوى، من أن يذهب. غير أنه لابد من تحية للأستاذة أمينة النقاش التى اختارت مجموعة من كتاباته فى الفترة بين يوليو 1987، ويوليو 1989 لتثرى المكتبة العربية بكتاب يتضمن جوانب من رؤيته وتأملاته لظواهر مصرية، وعربية، ودولية، وموقفه تجاه قضايا مهمة فى هذه الفترة، وقبلها، فضلاً عن بعض من سيرته الشخصية، بأسلوبه السهل الممتنع الذى نعرفه، ونحبه، ومنهجه الذى يجمع بين العمق دون تقعير، والبساطة دون تبسيط، وطريقته الساخرة التى تميز بها، وقدرته غير العادية على التحليل استناداً إلى خلفية موسوعية تجمع السياسة، والتاريخ، والفكر، والثقافة بمجالاتها المتنوعة.

لكنه تميز، فوق هذا كله وغيره، بما جعل كتاباته مختلفة عن غيرها، وهو ما عبرت عنه أمينة النقاش بدقة وصدق فى تقديمها للكتاب بقولها: (كان

يرى فى الشئ العادى ما هو غير عادى، وتلتقط عيناه ما لم تستطع عين
أخرى أن تراه. وهى قدرة كنتُ أشبهها بقدرة زرقاء اليمامة)، وكذلك
سخريته التى قالت عنها إنه جعلها (أسلوباً لتحليل الواقع، وتقييمه،
ولتسليط الضوء على ما فيه من خلل، واستنباط ما ينطوى عليه من
دروس وعبر للتعلم من هزائمه وانتصاراته). غير أن أمراً آخر يميز
كتاباتهِ، ويُعد نادراً بحق، وهو أن القارئ الذى يستغرق فى قراءتها يشعر
بأن كاتبها موجود معه، ويكاد يرى وجهه فى الكلمات التى يقرأها.

ولذلك سيظل صلاح عيسى معنا، ومع أجيال قادمة بعدنا. فسلام عليه فى
مناسبة إصدار كتاب سلامى عليك يا زمان .. وفى كل مناسبة